

- ٦٥ -

وقد كان تقديم العقل ووضع الخيال تحت وصايته عند الكلاسيكيين صدى لتأثرهم بأرسطو بالشراح الكلاسيكيين قبل أن يكون أراً من آثار الفلسفة العقلية . وقد استمرت القاعدة وعظم خطرهما بسبب هذه الفلسفة . ولكن العقل في النقد الأدبي الكلاسيكي لم يكن له على وجه الدقة نفس المعنى الذي كان له عند ديكاوت وتلامذته . فلم يسلك النقاد الكلاسيكيون في الأدب مسلك ديكاوت ، فيدعوا باسم العقل إلى القضاء على الأفكار السابقة قبل بناء فكرة جديدة ، على نحو ما فعل ديكاوت في منبهجه في الشك ، بل إنهم انحلوا من العقل وسيلة لاتباع السائد المألوف الذي يقره جمهورهم . وعلى حد تعبير أحد الكتاب : « كان العقل يملك ولكن أرسطو هو الذي كان يحكم » . وهم يعارضون العقل بالخيال ، وباللوق الفردي ، وبمهاجمة السائد المألوف من العادات والتقاليد وقواعد الفن الموروثة .

في الشعر الكلاسيكي يتجلى القصد في الصور ، ومسايرتها للمستقر الثابت من النظم والعادات ، فخير الكتب عندهم هو ما يقرأ فيها كل إنسان أفكاره ، حتى كأنه يعرفها سلفاً على حد تعبير باسكال . فالحقيقة التي ينشدها الكلاسيكي هي التي تواضع عليها الجمهور وهم الصفوة السائدة ، وفي هذا يقول « بوالو » :

« لا شيء أجمل من الحقيقة ، وهي وحدها أهل لأن نحب ، ويجب أن تسيطر في كل شيء ، حتى في الخرافات حيث لا يقصد بما في الخيال من براعة إلا جلاء الحقيقة أمام العيون » . فيجب أن تمر كل الصور والعبارات في مصفاة العقل - في معناه السابق - حتى تخرج مقبولة لا تفجأ الجمهور ولا تمس ما استقر لديه .

يحكي الكاتب الناقد الكلاسيكي « بوهور » « Bouhours » على لسان شخصية من شخصياته الأدبية « أرسط » أنه يقول لصاحبه الذي استسلم لأحلامه مصوراً منظر البحر أمامه : « إن هذا الحلم الذي استسلمت إليه كان جاد معقول » .

وقد كان الأدب الكلاسيكي خصباً في الشعر الموضوعي ، شعر المسرحيات حيث كانوا يختلون حلواً أرسطو في نقده على حسب ما فهموه من مهتدين في

( م ٥ - دراسات ونماذج )

( دراسات ونماذج - ٣٢ )